الأستاذ/ عبد السلام صحراوي.

المقياس: الأدب العربي والاستشراق.

السنة الثالثة ليسانس – تطبيق رقم 06.

التخصص: دراسات أدبية.

الفوج الأول.(01)

المفكّر مالك بن نبي والاستشراق

(1905– 1973م)

وُلدَ مالك بن نبي في الفاتح من شهر جانفي 1905 م بمدينة قسنطينة الجزائرية ، وهو من أسرة محافظة. كان والده يعملُ موظّفًا بالقضاء الإسلامي وقد حُوّلَ بحكم وظيفته إلى ولاية تبسَّة . وكان آنذاك مالك بن نبي يتابعُ دراسته القرآنية والابتدائية بالمدرسة الفرنسية وتخرّج سنة 1925م.

سافر مالك بن نبي مع أصدقاء له إلى فرنسا، ثمَّ ما لبث أنْ عاد إلى مسقط رأسه بعد تجربة فاشلة.ولكنّه أعاد الكرّة مرةً أخرى وسافر إلى باريس في رحلة علمية، وحاول الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، إلّا أنَّه لم يكنْ يُسمحُ آنذاك للجزائريين من أمثاله بمزاولة مثل تلك الدراسات، فاضطرَّ لتعديل أهدافه ومراميه والتحق بمدرسة اللاسلكي وتخرّج منها كمساعد مهندس كهربائي..

وبعد ذلك، انكبَّ مالك بن نبي على الدراسة والحياة الفكرية، وتزوّجَ من فرنسية واختار الإقامة في فرنسا وراح يُؤلّف الكتب في قضايا العالم الإسلامي.. ثُمَّ انتقل من فرنسا إلى القاهرة بعد اندلا ع الثورة الجزائرية (1954م) هاربًا و خوفًا على حياته، تاركًا وراءه في فرنسا زوجته التي رفضتْ مرافقته إلى القاهرة، وقد حظيَ في مصر باحترام كبير.. وعيّنَ مستشارًا لمنظمة التعاون الإسلامي، ولم يَعُد إلى فرنسا إلَّا سنة 1971 م وهو الذي كان قد استقر بالقاهرة، يعمل بها و يبعث بالمال لإعالة زوجته في فرنسا.

كان مالك بن نبي وهو في فرنسا قد أصدر كتابه " الظاهرة القرآنية " سنة 1946م. ثمَّ أصدر كتابه " شروط النهضة " سنة 1948م ، وقد عرض فيه مفهوم القابلية للاستعمار . ثُمَّ كتاب " وجهة العالم الإسلامي " 1954م ، وأمَّا كتابه " مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي " 1970 م فيُعْتبر من أهمِّ كتبه باللغة العربية ، وهو أيضًا من أهم ما كُتب باللغة العربية في القرن العشرين.

وحين كان مقيمًا في القاهرة كتب مالك " فكرة الإفريقية الآسيوية " عام 1956م. وقد عَمِلَ ابن نبي على تطوير معرفته باللغة العربية وقام بمراجعة كتبه المترجمة إلى العربية، وراح يُلقي المحاضرات العديدة. وزار سوريا ولبنان وألقى العديد من المداخلات والمحاضرات هناك..وعاد إلى الجزائر سنة 1963م بعد استقلالها ، حيثُ عُيِّن مديرًا عامًا للتعليم العالي.. وصدرتْ له " آفاقٌ جزائرية "، وكذلك الجزء الأول من مذكّراته.

مؤلفات مالك بن نبي:

- الظاهرة القرآنية 1946م.
- شروط النهضة. صدر بالفرنسية في 1948 وبالعربية في 1957م.
- وجهة العالم الإسلامي . 1954م./ مشكلات الحضارة / القضايا الكبرى.
- الفكرة الإفريقية الآسيوية. 1956م.
- النجدة... الشعب الجزائري يُبَاد. 1957م.
- فكرة كومنويلثْ إسلامي. 1958م.
- مشكلة الثقافة 1959م.
- الصراع الفكري في البلاد الُمسْتَعْمَرة. 1959م.
- تأمُّلات. 1961م.
- في مهبِّ المعركة 1962 م.
- آفاقٌ جزائرية. 1964م.

- إنتاج المستشرقين 1968م.
- الإسلام والديمقراطية. 1968م.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1970م.
- بين الرشاد والتيه. 1972م.
- المسلم في عالم الاقتصاد. 1972.
- من أجل التغيير ..
- ميلاد مجتمع..
- مذكّرات شاهد للقرن– الطفل 1965م.
- مذكرات شاهد للقرن – الطالب 1970 م.

توفي مالك بن نبي في الجزائر بعد هذه المسيرة الحافلة بالعطاء الفكري في 31 أكتوبر 1973م.

لقد اعتبر بعضُ الدارسين أنَّ مالك بن نبي يمثّلُ ظاهرة فريدة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر وذلك للأسباب الآتية:

أوّلًا: تعلّم العربية وأتقنها بعد أنْ تقدّم به العمر ..

ثانيًا: تعرّف على الفكر العربي الإسلامي عن طريق الاستشراق والمستشرقين.

ثالثًا: أحاط بالفكر العربي الإسلامي الحديث إحاطةً شاملةً.

رابعًا: كرّس حياته كلِّها للدفاع عن هذا الفكر وإنارة الدرب أمام الأجيال الإسلامية المعاصرة ..

خامسًا: ذاقَ مرارة الاستعمار وعرف الصهيونية عن كثب وحملات التبشير والمبشّرين وأدرك أهدافهم..

سادسًا: تعمَّقَ في دراسة قضايا عربية إسلامية متعدّدة دراسة متبصِّر ومدقّق ومحلّل واسع الدراية بظروف وواقع العالم العربي والإسلامي..

سابعًا: انفرد مالك بن نبي بين الباحثين بأصالة منفتحة نادرة قلَّما نجدها عند مفكِّر إسلامي معاصر آخر ، وهو ما أكسب فكره خصوصية وفرادة ومصداقية وتميّز بين المفكرين و العلماء والباحثين. ويستطيع الدارس أو الباحث في فكر مالك بن نبي أنْ يتأكَّد بنفسه من تلك الخصال والسمات المذكورة، كلَّما قرأَ كتابًا من كتب هذا العالم المحلّل والباحث في الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر..

ويبدو أنَّ أكثر ما اهتم به مالك بن نبي هو الصراع الفكري في العالم العربي الإسلامي المعاصر.. وهو الموضوع الذي خصَّه بأكثر من كتاب، منها كتابه:" الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة "، وكتابه:" مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي".. كما لا تخلُو كتبه الأخرى من إشارات كثيرة إلى هذا الموضوع. وفي ذلك كلّه يواجه الاستشراق بكلّ ما أُوتِيَ من قوة فكرية في البحث والنظر والنقد.. وهو الذي أكَّد على تصنيف المستشرقين إلى طبقات ، واهتمَّ بدراسة أثر الأدب الاستشراقي في الفكر العربي الإسلامي المعاصر .. فتعرّضَ لـ " دُوزِي " و"رِينُو " و" سِيدْيُو " و " بَّلَاثْيُوسْ " و" لُوبُو " قائلًا: " إنَّ الجيل المسلم الذي أنتسبُ إليه يَدينُ إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركّب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة

---

* رِينْهَارْتْ دُوزِي:مستشرق هولندي (1820– 1883م). من أصول فرنسية ، وقد هاجر أسلافه إلى هولندا.

* المستشرِق جُوزِيفْ تُوسَانْ رِينُو (1795– 1867م).مستشرق فرنسي متخصص في ميدان الآثار الإسلامية.

* المستشرق لَوِيسْ أَمِيلِي سِيدْيُو 1808 — 1875م : مستشرق فرنسي له " تاريخ العرب العام" .

Louis Amilie Sédillot : Histoire générale des arabes.

*المستشرق ميجيلْ آسينْ بَّلَاثيُوس : مستشرق إسباني كبير (سرقسطة 1871م– سانْ سيباستيانْ 1944م). كتب عن بن عربي، و" علم الآخرويات الإسلامي في الكوميديا الإلهية".

* المستشرق " غُوسْتافْ لُو بُو Gustave le Bon (1841– 1931م) ، وهو مستشرق فرنسي من أشهر مؤلفاته: كتاب: " حضارة العرب " ،و كتاب: " اليهود في تاريخ الحضارات".

هؤلاء المستشرقين حسب ما يراه ابن نبي أَنصفوا العرب والمسلمين وامتدحوا حضارتهم.

الحضارة الغربية ، ويُؤَكِّدُ أَنَّهُ وأشباهه من العرب المسلمين يَدينُون لأمثال هؤلاء المستشرقين على الأقل في المحافظة على شخصيّتهم الإسلامية..

ومع ذلك، فإنَّ مالك بن نبي يقرّر أنَّ مدحهم للتراث العربي الإسلامي قد جاء بعواقب خطيرة للغاية لأنَّه كان بمثابة مخدّر يجعلُ النَّائم يواصلُ نومَهُ إلى ما لا نهاية له.. وإذا حدثَ أنْ استيقظ فهناك مَنْ عَدَّهُ الاستعمار من المستشرقين ليقوم بإبطال فعاليته، كلَّما تقدّم هذا المفكّر المسلم بحلٍّ للمشكلة.. ويقوم الاستشراق والمستشرقون بتحليل وتركيب القضايا والمشكلات للعالم الإسلامي والعربي ليُبْرِزَ الصراع الفكري في العالم العربي والإسلامي الحديث . وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: " اليوم يتعرَّض العالم الإسلامي لمشكلة في صورة حرجة شكسبيرية : هل نَكون أو لا نَكون ؟ " ويردُّ على ذلك بأنَّنا إذا أردنا أنْ نكون فليس علينا أنْ نجدِّدَ الأشياء ، بل أنْ نجدِّد الأفكار ، والمجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكن أنْ يصنعَ الحضارة – حضارته – ولا يمكن لمجتمع في عهد التشييد أنْ يشيّد بالأفكار المستوردة أو المسلَّطة عليه من الخارج سواء أكانتْ تمتُّ إلى الاستشراق أو الشيوعية..

ومن هنا ، يواجه مالك بن نبي المنهج الديكارتي* بالمنهج القرآني، وهو يرى أنَّ ما حدث في المناخ العقلي

---

*المنهج الديكارتي: نسبة إلى الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارتْ " René Descartes (1596- 1650م).وهو يقوم على الشك والتفكير : " أنا أُفكّر إذن أنا موجود ".والشك الديكارتي هو منهج للتوصل إلى اليقين . كما يقوم المنهج الديكارتي على أساسين:

1- البداهة : ويقصدُ به التصور الذي يتولّد في نفس منتبهة.

2- الاستنباط: أيْ العملية العقلية التي تنقلُنا من الفكرة البديهية إلى نتيجة أخرى تصدُرُ عنها بالضرورة. ويستندُ المنهج الديكارتي على أربعِ قواعد هي:

1- التسليم بيَقينية المبادئ التي تبدو للعقل بسيطة وواضحة لا تثير يقينيَّتها أيّ شك.

بظهور القرآن الكريم من تغيير هو أعظم من أيّ شيء ظهر بعده على الإطلاق. إذْ لا شكّ – في رأيه – أنَّ هذا المسلم هو الذي أتاح للفكر الإسلامي الانطلاق من عصر الشيئية في العصر الجاهلي للوصول إلى تلك القمة الشامخة التي شعَّ منها العلم على العالم الذي كانت تخيِّم عليه الظلمات . ولا بد أنْ نستعيد تلك التجربة الإسلامية المجيدة والأصيلة، ونترك كلّ ما هو خارج عنها، والعودة إلى المنهج القرآني الفريد والأصيل. و تلك هي في نظره الطريقة الوحيدة للتقدم و النهضة والازدهار..

= 2- تقسيم كلّ مشكلة إلى أجزائها .

3- الانتقال المنظّم من المعروف والمبرهن عليه، إلى المجهول الذي يتطلّب البرهان.

4- عدم إغفال أيّ من مراحل البحث المنطقية.

وعادةً ما يرتبط اسم ديكارتْ بموضوع الشك ، فالشك هو أساس الديكارتية وهو الذي يقوم عليه التفكير العقلاني.. ومن مؤلفات ديكارت المشهورة نذكر :

- مقالٌ عن لمنهج 1637م - تأمّلات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى 1641م.

- مبادئ الفلسفة 1644م . – قواعد لتوجيه الفكر . –كتاب : العالم.

- الهندسة (علم الهندسة) 1637 م .